دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

سُعَاد الصَبَاح

إليْكَ يَا وَلَدِيْ

إليْكَ يا وَلَدي

طبع على مطابع دار صادر ، بيروت

سُعَاد الصَّبَاح

إليْكَ يَا وَلَدِيْ

دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة التاسِعَة
١٩٩٤

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

ص . ب . ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت

إليكَ يا ولدي..

إليكَ يا وَلَدي:
إلى من كان رجلاً رَغْمَ طفولةِ العُمْر.
إلى من كان الأنيسَ، والرفيقَ، والصديقَ،
في زمن نَدَرَ فيه هؤلاء.
إلى من كان مباركاً، وستظلُّ كذلك ذكراه.
إلى ولدي.. وإلى الأُمّهات اللواتي شابت
في عيونهنّ الدموع.. أُهدي كلماتي..

سعاد

مُقَدّمَة

أَيُّ بُشْرى ! قلمي لاَغَى ، وناغى ، وَتَكَلَّم . .
بعد ما اسْتَسْلم لليأس وأغفى وتأَزَّمْ
خِلْتُهُ ماتَ ، ولكنْ كان في صمتٍ ملثَّمْ
ثم وافى بعد عامين بشَجْوي يَترَنَّمْ .

أَيُّ بشرى ، عادت الآمال في أُفْقِ حياتي
وانْتَشَتْ روحي وغنَّى قلمي بَعْدَ سُبَاتِ
ها أنا أُمْطِرُهُ اليومَ أَحَرَّ القُبُلاَتِ
قَلَمُ الشَّاعِرِ لاَ يَعْرِفُ مَعْنَى لِلْمَمَاتِ

قلمي بَلْسَمُ هَمِّي وَضِمَادٌ لأَنِيني
يَبْعَثُ النشوةَ والآمَالَ في قَلْبِي الحزين
كلماتي نفثاتٌ من حنانٍ وحنين
وحروفي لمحةٌ من طلْعَةِ الحقِّ المبين

هاكَ شِعْري ، وسأتلوهُ لروحِ ابني الحبيبِ
ولأهْلِي ولأحبابي وللحقِّ السليبِ
سوف أَرْوِيهِ بدمعي الثاكلِ الثَّرِّ الصبيبِ
وأنا في غربتي ، أَوَّاهُ من عيشِ الغريبِ . .

قَلَمي ، وَهْوَ حبيبي ، كان في شوقٍ إِلَيّ
آهِ إذْ عانَقْتُهُ مشتاقَةً في إصبَعَيّ
خلْتُ أن الحِبْرَ يَبكِي فرحةً بينَ يَدَيّ
ويغنيِّ بحروفٍ من رضا الله عَلَيّ

قلمي ، يا ولدي الروحيَّ ، يا أحلى عطاءْ
قلمي ، يا راحةَ النفس ويا لمْحَ السماءْ
لم تزل في محنة العمر كبيرَ الكبريـَاءْ
تمسحُ الجرحَ بما تصهَرُ من مُرِّ الرِّثَاءْ

قلمي ، أنت صديقُ العمر ، يا نعْمَ الصديقْ
أنت لي خيْرُ رفيقٍ أيْنَمَا عَزَّ الرَّفيقْ
كلما شَبَّ أُوارُ القَلْبِ أطفأْتَ الحريقْ
وإذَا لجَّتْ بيَ المَوْجاتُ انقذْتَ الغريقْ

أنتَ أنتَ الفعلُ يجري صُعُدَاً في كلماتي
أنْتَ من تعرفُ آلامي وَأَسْرَارَ حَيَاتِي
يا أمينَ العهْدِ ، كالأبْـرَارِ ، والرُّسْلِ الهُدَاةِ
يَا مَلاَكاً يَغْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضِ الرَّحَمَاتِ

أنْتَ قَبْلَ ابْنِي وَبَعْدَ ابْنيَ خِدْنِي
وشريكي في الَّذِي تَسْمَعُ مِنِّي . .
أنْـتَ في المأساةِ تحتَمِلُ الآلامَ عَنِّي
وإذا ما ابتَسَمَ الدَّهْرُ أُغَنِّي فَتُغَنِّي . .

مَوعِدُ في الجَنَّة

ايَا دُنْيَا من الآلام أَسْرِي في دياجِيهَا
أكابدُها . . ولا أدْري متى أو أين أُلقيها ؟
وكم أجهدتُ إيماني وصبري في تَحَدِّيهَا
فَلَمْ أَجْنِ سوى يأْسي من الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . .

مُبَارَكُ كَانَ لي دُنْيا مِنَ الْحُبِّ أُناجيهَا
وآمالاً أعيش بهَا ، وَأحَلاماً أُغَنِّيهَا
قضيت العمْرَ والإثنين أرعاهَا وأحمِيهَا
وللمستقبل المرجُوِّ أخْتَالُ بها تِيهَا
فكيف . . . اغْتَالَها مِنِّي قَضَاءٌ جاء يَطْوِيهَا
ويُلقي بي إلى الظُّلمَات تُشْقِيني وَأُشقيها
كأني مَوْجَةٌ في الْيَمِّ قد ضَلَّت مراسيها
فيا وَلَدي ، ويا ذُخْري من الدنيا وما فيها . .
أجْب . . من يَغْلِبُ النَّارَ التي شبَّتْ ، وَيُطْفِيهَا ؟ .
أما تشهد أيامي ، وما أقسى لياليها ؟ .
تعذّبني دقائقُها . . وتُحْرقني ثَوانيها

وهذي دارنا الْغَنَّاءُ قد حالَتْ مغانيها
وطوَّف بائعُ الأحْزَانِ في كلِّ نواحيها
وأضواءُ الثُريَّاتِ خبَتْ في عين رائيها
وحتى نَضْرَةُ الأزْهَارِ ماتت في أوانيها
ولم تبق سوى صورتك الحلوةِ . . أفْدِيها
وبالروح أُعانِقُها . . وبالأدْمُعِ أسقيها

أَيا لَوْعَةَ قَلْبِ الأمِّ إن ماتت أمانِيهَا
فلا الشكوى تؤانسها ولا الصَّبْرُ يُواسيها
تولَّتْ فرحةُ الدنيا فعاشت في مآسيها
إلى أن ينتهي العمرُ ويدعو الروحَ باريها
لتسمعَ في جنانِ الخلد فِلْذَتَهَا تُناديها . .

هَـلْ نَسِيتُم

هَلْ نَسِيتُمْ عَابِدَ اللهِ الْـمُـبَارَكْ ؟ .
وَهْوَ مَنْ كَانَتْ بِهِ الدُّنْيَا تَبَارَكْ

طَالَـمَا كُنْتُمْ تنامُونَ وَيَسْهَرْ
ليرى الأَمْنَ عَلَى اللَّيْلِ مُسَيْطِرْ

كَانَ فِي مَعْشرِهِ صَدْراً حنونَا
وَسنًى يَبْهَرُ بالحُبِّ العُيُونَا

وَنَدًى كالغيْثِ في كفِّ السماءْ
وَإبَاءً أَلْمعِيَّ الْكِبْرِيَاءْ

ولهُ قَلْبُ الصِّغَارِ الأبْرِيَاءْ
كلُّهُ خيرٌ ، وطهرٌ ، ووفَاءْ .

أَيُّها المِقْدَامُ يا عِزَّ الرجَالْ
أين أنتمْ منهُ في أَيِّ مَجَالْ ؟ .

أَنسيتُمْ أَنَّهُ صَقْرُ الْخَلِيجْ
مُشرقُ الطَّلْعَةِ ، فوَّاحُ الأَرِيجْ

باهِرُ الصَّفْحَة في كُلِّ كتَابْ
رَافِعُ الهامةِ مَرْفُوعُ الْجَنَابْ

وَاسْمُهُ المَحْفُورُ في قَلْبِ بلاَدِي
سَوْفَ يَبْقَى خَالِدًا رَغْمَ الأَعَادِي

إن حسِبْتُم أنكُم صرتُمْ نُجُومَا
فَهْوَ نُورُ الشَّمْسِ يكسُوكُمْ غُيُومَا

لا تقُولوا إنَّه يطلُب حُكْمَا
إنَّهُ أَعْلَى من الحُكْمِ وَأَسْمَى

مَنْ لَهُ في كلِّ قلبٍ منزِلَهْ
لا يَرَى في الحُكْمِ إلا مَهْزَلَهْ ! . .

في طائرة الموت

صاحَ بي طفلي الْـمُفدَّى وهو مخنُوقُ الأنينِ
وَيْكِ أُمِّي أدْرِكيني . . . ويْكِ أُمي أنْقِذيني . .
اسْعِفيني بهواءٍ من صمامِ الأوكسجينِ
وخُذيني في ذراعيْكِ لأرتاحَ . . . خُذيني . .
قَرِّبيني . . قبِّليني . . عانِقيني . . أَدْفئيني
إنني أشعر بالرِعْشة تسري في وتيني

أخرجي الحَبَّةَ من جيبي ، فقد كَلَّتْ يميني
وَضعِيهَا في فمي ، عَلِّيَ أُشفَى بعد حينِ . .
وانْزَعي ربْطَة صدرْي ، إنها قيدُ سجينِ
الضَّنَى فوق احتمالي ، فأعينيني . . أعيني . .

قَالَها ، ثمَّ ارتمى في الأرض كالفرْخِ الطعينِ
فارتمى قلبي علَيْهِ في ارتياعٍ وحنينِ
وَلدي . . يا كنْزَ أيَّامي وَيَا حُلْمَ سنيني
يا شبابًا كلما حَدَّقْتُ فيه يَزْدَهِيني
ليت آلامَكَ كانت في كياني تعتريني
آهِ من طائرةِ الموت التي هزَّتْ يقيني
قلتُ للقُبْطَانِ عُدْ للأرضِ . . دَعْها تحتويني . .

عَلّني أظفَرُ فيها بطبيبٍ أو مُعِينِ
ومن الموت يقيهِ ، ومن الهول يقيني
إنني أغرق في بحرٍ من الدمع السخِينِ
إنني أصرُخ من ناري ، وأهْذِي في أنيني
بعد أن جُنَّ جنوني ، وغدا اليأسُ خدِيني
كم تضرَّعْتُ إلى الله بإيماني ودِيني
أن يردَّ الموتَ عمَّنْ ، هو تَاجٌ لجبيني
وَهْوَ في حضني يداري اليأْسَ في عطفٍ وَلِينِ
وَادِعًا يستقبلُ الْموتَ بقلبٍ مستكِينِ
إيهِ يا دنيايَ . . زيديني شجًى وامتحنيني
لم يعُدْ لي في المُنى مَا أشتهي أن تَمْنَحيني
بعد ما أنهَدَّ الذي شَيَّدْتُ من حصنٍ حصينِ
كان في مستقبلي غايةَ مأوايَ الأمينِ

كان نُوري ، وعَزائي ، من دُجَى ليلي الغبينِ
كان مالي وثَرائي . . . كان أحلامَ السنينِ . .

خِـدَاع

كَمْ أخْدَعُهُ . . قَلْبِي المِسْكِينْ
وَيَدِي نَزَعَتْ مِنْهُ السِّكِّينْ
وَأَقُولُ لَهُ عَنْ غَيْرِ يَقِينْ
الْعِيدُ غَداً للبيْتِ يَزِينْ
فغدًا . . في التاسعِ والعشْرِينْ
وَلَدِي في عُمْرِ البدْرِ يَبِينْ
ويُتِمُّ ثَلاَثَ وَعَشْرَ سِنِينْ

فيقولُ القلْبُ . . كَفَاكِ خِدَاعْ
فالْعِيدُ مضى مِنْ غَيْر وَداعْ
والأمَلُ الحُلوُ الْـمُشْرِقُ ضَاعْ
لم يَبْقَ بِقَلْبَ النُّورِ شُعَاعْ
لم يَبْقَ لطَعْمِ العيْش مَتَاعْ
وبقايا العُمْرِ ضَنًى وَضَيَاعْ

أَيْنَ الْبَسَمَاتُ عَلَى شَفَتَيْكْ ؟ .
وهدايَا الْعِيدِ عَلَى كَفَّيْكْ . .
وزهورُ العيدِ تَهَشُّ إِلَيْكْ
وشموعُ العيد تَزِينُ الأَيْكْ
والدُّنْـيَا تَضْحَكُ فِي عَيْنَيْكْ
ومباركُ يَضْحَكُ بَيْنَ يَدَيْكْ

لَوْ كَانَ العِيدُ لزَيَّنا الدَّارْ
وجَلَبْنَا الْـحَلْوَى والأزْهَارْ
وفرشنا النُّور عَلَى النَوَّارْ
وسهرنا الليلَ مع الأوتار
لكنَّ ربيعَ الروضِ انْهَارْ
وانْفَضَّ النُّورُ ، وخلَّى النَّارْ . .

ثَورَة

قُلْ لمَنْ كانَ بالْـمُنَى يَلْقَاني . .
ويُغَنِّي بالبِشْر حينَ يراني . .
كيف بالله غَيَّرَتْهُ الليالي ؟ .
فَطَواني في غمْرةِ النِّسْيانِ .
شَغَلَتْهُ شواغلُ الدهر عنِّي
بعد أن كنتُ حُبَّـهُ المُتَفَانِي
أيُّها التائهُ الذي صَهَرَ القلبَ .
وفضَّ الربيعَ ، قَبْلَ الأوَانِ
أنتَ من ضَيَّعَ الحقيقةَ مِنِّي
وأشاعَ الظَّلاَمَ في وِجْدَانِـي . .

أنت أسْلمتَني لدوَّامَةِ الدَّهْرِ ،
وأمواجُهَا تَهُزُّ كِيَانِي . .
أينَ شَوْقُ الْـهَوَى وهَمْسُ الأماني
وربيعُ الرُّبى ، ورَجْع الأغاني ؟ .
إنما ترتوي الأزاهِرُ بالماءِ . .
كما يرتوي الْـهَوَى بالحَنَانِ
كيف أرضَى من هاتِفي بحديثٍ
عابرٍ منكَ ، يَنْقَضي في ثواني ؟ .
لا وَرَبِّي . . سأُطْعِمُ النارَ قَيْدِي
فأَنَا لا أَذِلُّ للسجَّانِ
سَأُوَلِّي لقصَّةِ الحُبِّ ظهْرِي
وَأُغَنِّي لعِزَّةِ الْحِرْمَانِ . .

أمْطِرِيْ يَاسَمَاء

أجَلْ . .
أمْطِرِي . . أمْطِرِي يَا سَمَاءْ
فمأساتُنا في الليالي سَواءْ
ونُوحي معي بعد فقدان مَنْ . .
نذرتُ له طولَ عمري البكاءْ .

أجَلْ . . .
أرْعِدي . . أسمعيني صَدَى
أسَايَ . . فإنِّي فقدْتُ الرَّجَاءْ
وأصبح دمعيَ لاَ يَـنْـتَهِي
ولن ينتهي قَبْلَ يومِ اللقاءْ

أجَلْ . . .
حَطِّمي كلَّ شيءٍ هُنَا
فَمِنْ بَعدِهِ كلُّ شيء هَبَاءْ
أجَلْ أمْطِري . . ذوِّبيني أسًى
خُذِيني بسيْلِكِ قَطْرَةَ مَاءْ
لَعَلِّي أَسيلُ عَلَى قَبْرِهِ

وَأَسْقِيهِ فِي لَـهْفَتِـي مَا أَشَاءْ
لعلِّيَ أَسْقُطُ فِي قَفْرَةٍ
فَـأُحْيِي الجياعَ ، وأسْقِـي الظِّمَاءْ
أجَلْ أمْطِرِي . . .
أمْطِرِي يَا سَمَاءْ . .
فَإِنِّي فَقَدْتُ المُنَى والرَّجَاءْ
فَقَدْتُ الذي كانَ فيما عَشِقْتُ
أرقَّ المعاني وأحْلَى العَطَاءْ
أجلْ . . . زلزلِي الْكَوْنَ . . . إنَّ بِقَلْبِي
زلازلَ هُوجَاً تلبِّي النِّدَاءْ
لَقَدْ حَجَبَ الحزْنُ عَنِّي الوُجُودَ

وَأَمسَيْتُ أَشْتَاقُ حِضْنَ الْفَنَاءْ
كرهتُ الحياةَ وما في الحياةِ
كرهتُ الصداقَة والأصدقاءْ
كرهتُ التَّفَاهَةَ والتَّافِهِينَ
وفْرطَ الجحودِ ، وشُحَّ الوفَاءْ
فهاتي سيولَكِ . . أُخْمِدُ حقدي
على الحاقدين . . . على الأشقيَاءْ
وأنزعُ موقعَهم من ضميري
وأُطفىءُ ثورةَ هذي الدِّمَاءْ
وَيَسْجُدُ صَفُّ دُمُوعي لربِّي
وَأَرْجعُ في نُورهِ لِلصَّفَاءْ
لَعَلَّكَ يَا رَبِّ تَرْحَمُ ثُكْلِي
وَتَنْزِعُ مِنْ شَوْكِهِ مَا تَشَاءْ

أحِبّكَ حُبًّا كَثيرًا

أحِبُّكَ حبًّا كَثيرًا ، قَويًّا ، عَتِيًّا ، مُثِيرا . .
أحبُّكَ يا روحَ روحي . . وباسْمِكَ أشدو كثيرَا
وكم مرةً يا حبيبي . . تواعدني أن تزورَا . .
فألْبَس ثوبِـي ضياءً . . . وأرسلُ شعري حريرَا . .
وأملأ يومي شموسًا . . وأزرَعُ ليلي بُدورَا
وأنظِمُ شعري غناءً . . وأغْمُرُ جَوِّي عبيرَا . .

سُـؤالُ

رِفَاقُكَ الصِّغَارُ يسألونَني عَن الْـخَبَرْ
شَهْرَانِ مَرَّا والْـمُـبَارَكُ الْحَبِيبُ مَا ظَهَرْ
فإن أَقُلْ : مسافرٌ . . قَالُوا . . إلى متى السَّفَرْ ؟ .
قد أَقْبَـلَ الصَّيْفُ على شاطئنا . . وما حَضَرْ . .

يا أيُّها الصغارُ . . هكذا قَسَا بنا القدَرْ
وهكذا اغْتَالَ أعزَّ مَا لعُمْرِي أدَّخِرْ
وهكذا طوى حبيباً كان في عُمْرِ القمَرْ
وهكذا أضْرَمَ في قلبي اللهيبَ فاسْتَعَرْ
وهكذا هَوَى الضياءُ من سمَائي وانْتَحَرْ . .

أيْنَ الذي زَيَّنَ أيامَ شبابي بالزَهَرْ ؟ .
وكان أغْلَى في الخصالِ من فرائِدِ الدّررْ ؟ .
وكانَ أحلى ما أراه في الحياة من صُوَرْ
وكان رَوْضًا للحَنَانِ حُلْوة الثمَرْ
رجولةٌ ما كُبِتتْ ، في الدهر لابن اثْنَيْ عَشَرْ
وكنتُ أحميه على الدَّهْرِ بأعْطَرِ السُّوَرْ
لكنَّما رَيْبُ الزَّمَانِ لا يُرَدُّ إنْ غَدَرْ

يا وَلَدِي . . أما تَرَى دُمُوعَ قَلْبِي كَالْمَطَرْ ؟ .
أما تَرى عُوَدِي الْتَوَى ، وغصْنَ آمالي انْكَسَرْ ؟ .
ورُحْتُ أهْوِي بالمُنى من قمَّةٍ لمُنْحَدر ؟ .
رُحْمَاكَ ربِّي . . وَمَتَى يَكُونُ يَوْمِي الْمنتَظَرْ ؟ .
فقد غدا فَوْقَ احتمالي عَيشُ أيَّامٍ أُخَرْ
رِفْقًا بقَلْبي ، فَهْوَ لَوْلاَ عُمْقُ إيمَانِي كَفَرْ . .

أيُّهَـا القَـاسِيْ

أنْـتَ . . يا من كنْتَ في ليلي مصابيحَ النَّهَارْ
أنْـتَ . . يا من كنتَ في صحراءِ أيامي اخْضِرَارْ
لا تسلْني عن همومي ، فهْيَ من غير قَرَارْ
لا تسلْني عن دموعي ، إنها ماءٌ وَنَارْ
تلتقي فيها البراكينُ بأمواجِ البحارْ . .
وأنا أُرخي ابتساماتي على الحزن ستارْ . .

بعد أن ضيَّعَتِ الأيَّامُ أحلامي الكبارْ
وذوي الوَرْدُ من الربوة ، والعصفورُ طارْ
وغدا الفردوسُ من بعدِكَ تيهًا وقِفَارْ
لا تسلني ، ماتَتِ الألفاظُ . . وانفَضَّ الحِوَارْ
وأحاط الشَّجَنُ الضاري بقلبي كالسِّوارْ
وغدا بيني وبين الدَّهْرِ من بعدِكَ ثَارْ
أيُّها القاسي . . الذي استحكم في القلبِ ، فَجَارْ
إن قلبي لك في صبْوَتِهِ . . أكرمُ دَارْ
إنه روضٌ زكيُّ الزهر ، قُدْسيُّ الثِّمَارْ
إنه يحْيَا على حُلْمِ لِقَانَا في انْتِظَارْ
فالبِدَارَ الآنَ يا روحي ، إلى اللُّقيا الْبِدَارْ
فالبدارَ الآنَ يا روحي إلى حِضْنِي . . الْبِدَارْ

مِنْ أُمْنِيَة ... إليكَ مُبَارَك

يا أخِي . . أصبح لي اليومَ من العمر سَنَهْ
قُمْ . . وهنئني ببعض البسمات المُحْسِنَهْ
عُدْ . . وهَبْ لي لعبةً أو زهرةً أو سوسَنَهْ
عُدْ . . وبدِّدْ من سماء البيتِ غيْمَ المَحْزنهْ
جَافَتِ الأنغامُ بيتًا ، كنْتَ فيه أُرْغُنَهْ . .

يا أخي . . من أجْلِ أُمِّي عُدْ إلينَا بالأَمَاني
قُمْ . . تجدْها زهرة قدْ ذَبُلت قَبْلَ الأوَانِ . .
في ربيع ماتت الفرحةُ فيه والأغاني . .
أغرقَتْهَا في خريفِ الحُزْنِ أمْوَاجُ الزَّمَانِ . .
بعد إحْدَاق الْـمَنَايَا بأمانِيها الحِسَانِ . .

يا أخي . . مَا عِيدُ مِيلادِي سِوَى يَوْمٍ كَئِيبْ
بعد أن غُيِّبْتَ عَنَّا أيها الوجهُ الحَبيبْ
لم يعَدْ في البيتِ إلاَّ الصمتُ ، يتلوهُ النحيبْ
لم نَعُدْ إلا غريباً يتأسَّى بِغَرِيبْ
وأبًا يسأل ما الخطْبُ . .
وَأُمًّا لا تُجِيبْ . . !

بَيْتكَ الأخِـير

كان لنا بيتٌ جميلٌ في
الهرم ، أقصى ما كنا نتمنى أن
يكون بيتاً لمبارك مع
عروسه ، ولكنَّ القدر كان
أقسى منَّا ، فكان مرقدَه
الأخير ، ودُفن في البيت
الذي كان يحبُّه .

أَتَرَى تَذْكُرُ مَرْأَى شَجَرَاتِ الْبُرْتُقَالْ ؟ .
في جوارِ الْـهَرَمِ الشّامخِ ما بيْنَ التِّلاَلْ
حيث كان اللَّهْوُ يحلو لَكَ في تلك الظلالْ
بين أترابِكَ في البيت ، وفيهنَّ «نَوَالْ» ؟ .
ها . . هُنا يا ولدي ، نوركَ عن دنيايَ مَالْ
ها . . هُنا غُيِّبْتَ عني . . وَتَوسَّدْتَ الرمال
حين كان القمرُ المحزونُ يَمْضي للزَّوَالْ

ها . . هُنا يا ولدي . . كان لنا أحْلَى مَقَالْ
طالَما حدَّثتَني عن أملٍ حُلْوِ المنالْ
عندما تصبحُ من عمرك في سنِّ الرِّجَالْ

تبتغي السكنى بهذا البيت . . في حضْنِ التِّلاَلْ
كنتُ إذ أصغي إلى همسِكَ ، أمضي باختِيالْ
وأرى في مُقبِلِ الأَيَّامِ من وحي الخيالْ
وَلَدي شبَّ عن الطوق ، وأوفى للكمَالْ
في ذراعيْه عروسٌ . . هي للحسنِ مثَالْ

آهِ . . كم تغرقنا الأوهامُ في دنيا الضَّلالْ
فإذا الماء سرابٌ . . وإذا الشطّ مُحَالْ
وإذا البيتُ الذي كان لأحلامي مَجالْ
يَغْتَدِي قَبرًا لأحلامي إلى يوم المآلْ . .

هَل بنيناهُ لكيْ تَحجبَهُ هُوجُ الرِّمَالْ ؟ .
هل زرعناهُ لكي نسقيَهُ الدَّمْعَ المُسَالْ ؟ .
ليْتَ هذا البيتَ لم يخطُرْ لنا يومًا ببَالْ . .

لَيْتَ

لَيْتَ أُمِّي ولدتْني في زمانِ الجاهِليّهْ . .
بين قومٍ يئدُونَ البنْتَ في المهْدِ صَبِيَّـهْ
قبل أن تُصبحَ أُمًّا ذات أزهارٍ نَدِيَّـهْ
وتذوقَ الثُكْلَ ، والسُّقْمَ ، وألوانَ البلِيَّـهْ .

ليتَ أُمِّي ساعةَ الميلادِ كانتَ وأدَتْني
ولدتني . . لأُعاني قَدَرِي إذ ولدتْني . .
ليتها بين رؤى أحلامِهَا مَا نَشَدَتْنِي
المآسي حطَّمتْني ، والرَّزايا بدَّدتْني . .

ليتَ ربِّي حين قَدّرَ لي هذي الحياهْ
لم يَصُغْنِي بَشَرًا يحمل في القلب أسَاهْ
بَلْ فَرَاشا في الْفيَافِي ، أوْ نَبَاتاً في الْفلاَهْ
أو شُعَاعاً في الدياجي ، أوْ غِنَاءً فِي الشِّفَاهْ . .

إنْ يَكُنْ هَذَا . . فَيَا رَبَّاهُ عَجِّلْ بالمصيرِ
وأجِرْنِـي من عذابي . . أنْتَ يا خَيْرَ مُجيرِ
قَرِّبِ المَوْعِدَ يا ربِّي إلى يَوْمِـي الأخِيرِ
هاتِ يومَ البعثِ ، واجْمَعْنِي بمحْبُوبِـي الصَّغِيرِ . .

حَديثٌ إلىٰ نَفْسِيْ

إدْفعي زَوْرقي إلى النُّورِ يا نفسي ، وَسِيري به لبرِّ الأمانِ
وكفى ما احْتَمَلْتُ من شَجَنِ اللَّيْلِ ، وَعَصْفِ النَّوْى ،
وظُلْمِ الزمانِ . .
كُنْتِ كالروضِ تزدهين على الكونِ بسحرِ العطورِ
والأَلْوانِ .
كُنْتِ كالشَّمْسِ تغمُرِينَ مدى الأَرْضِ باحْتِوَاءِ حُسْنِكِ
النُّورَانِي
فتحوَّلْتِ كالخرائِبِ وَالأَطْلاَلِ مَأْوى لِلْبُومِ والغِرْبَانِ
وتبدَّلْتِ فالزهورُ هشيمٌ ، والسَنى فاحمٌ من النيرانِ

والهوى قصةٌ نَعَتْهَا الليالي . . والنَّدَى أدمُعٌ على الأجفانِ
آه يا نفسُ لو ملكتُ مصيري ، وتحكَّمْتُ في هَوَى وجْداني
لتجمَّلْتُ بالسُّمُوِّ ، وبالصَّبْرِ ، لأَلْقَى سعادةَ النِّسْيَانِ . .

غَيْرَ أنِّي فَقَدْتُ في مَهْمَهِ الحُبِّ بَقَايَا إرَادَةٍ في كياني
وتعثَّرْتُ في طريقِ حياتي ، كخيالٍ يجري وَرَا إنْسَانِ
أَيُّهَا الْحُبُّ . . يا ملاذَ المساكينِ، ويا رحمةً مِنَ الرَّحْمَنِ
أَنَا لَوْلاَكَ مَا رَأَيْتُ سَنَى الله ، ولا ذُقتُ لذَّةَ الإيمَانِ
أَنَا لَوْلاَكَ لانْحَدَرْتُ إلَى السَّفْحِ ، وَلَمْ أَرْتَفِعْ لِسَمْتِ التَّفَانِي
فَانْتَشِلْ زَوْرَقِي إلى شَاطِىءِ الأَمْنِ وهدِّىءْ لواعجَ الحرْمان
وَأَعِدْ لي الْعَهْدَ الذي يجدُ القلبُ به عَودَةً إلى نِيسَانِ . .

لا تَلُمْني

لاَ تَلُمْني يَا حَبِيبِي إنْ تَوالَى أَلَمِي
واكْتَسَتْ نَضْرَةُ أَيَّامي بلَونِ الظُّلَمِ
فتطلَّعْتُ إلى الحبِّ الحنونِ المُنْعِمِ
وترامَيْتُ على حِضْنِكَ . . أُلْقِي ضَرَمِي
ولمن أشكو عذابي ؟ . وَعَلَى مَنْ أَرْتَمِي ؟ .
أنا لا أملكُ إلا أَنْتَ . . مِنْ مُعْتَصَمِ .

أنت أدْنَى لي بعهد الحُبِّ من ذي رَحِمِ
فتقبَّلْ بعض هَمِّي ، وَتَحمَّلْ لَمَمِي
أنت أمّي ، وأبي ، أنْتَ حَبِيبِي تَوْأمِي
أنتَ يا نبضَةَ قلبي . . أنتَ يا مَجْرَى دَمِي . .

آهِ لو تعرف مأساةَ طريقي المُظْلِمِ
كيف أرويها وقد بدَّدَ يأسي كَلِمِي
كيف أحكيها وقد مات حديثي في فمي ؟ .
واستباح الصَّمْتُ لحني فتهاوَى نغمي
وعدا الدهْرُ على ضَعْفِي بِعُنْفِ الْمُجْرِمِ
ومضى يَحْصُدُ من ليلي ضِيَاءَ الأنْجُمِ
ثُمَ ألْقَانِي مَدَى الْعُمْرِ بِلَيْلٍ مُعْتِمِ

وَأَحَالَ الشَّمْسَ نارًا تُفْتَدى بالحُمَمِ
قَدَرِي هَذَا يُعَادِيني كَطِفْلٍ نَهِمِ
رَضِعَ الإِثْمَ فَلَمَّا فَاتَ سِنَّ الْحُلُمِ
هَامَ بالشَّرِّ وبالضُّرِّ كَأَنْ لَمْ يُفْطَمِ
ويواليني من اليأْسِ بِسَيْلٍ عَرِمِ
فَأَجِرْنِي يا حَبِيبِي مِنْ مَصِيرِي المُظْلِمِ
وانتشلْني يا أميري ، من مهاوي الْعَدَمِ
كَيْفَ أَلْقَى فِي ضُحى الأَيَّامِ لَيْلَ الْمَأْتَمِ
إِنَّني فِي زَهْرَةِ الْعُمْرِ ، فَأَدْرِكْ بُرعُمِي
وَأَعِدْ لِي بَهْجَةَ الْعَيْشِ ، وَسِحْرِي الْمُلْهِمِ

وَتَخَطَّرْ في شبابي ، كَرقيقِ النَّسَمِ
وتَألَّق . . في ربيعي ، بجميلِ النِّعَمِ
وَتَرَنَّمْ في أغانيكَ بنجوى المُغْرَمِ
وَارْتَفِعْ بي مِنْ ثَرَى الْيَأْسِ ، لأَعْلَى الْقِمَمِ . .

إيـمَان

لاَ تَسَلْ عَنْ لَوْنِ مَأْسَاتِي وَمَجْرَى عَبَرَاتِي
لَوْعَةٌ لم تدرها قبلي ثَكَالَى الأمَّهَاتِ
ولدي كانَ حبِيبي ، ورَجائي ، وحَياتي .
ولدي كانَ أبي . . كانَ أخي . . بل كانَ ذاتي
كان لي تاجًا على رأسي كتاجِ المِلكَاتِ

كان إلهامي ، وإبْـدَاعِي ، وأحْلَى أُغْنِيَاتِـي
شاعِرِيًّا ، وندِيًّا ، كأرقِّ النَّسَمَاتِ
وعطوفًا ، وَأَبِيًّا ، وكريمَ اللَّفتَاتِ
ولدي . . كان سَنَى عَيْنِي ، وحُلْمِي في سُبَاتِي
ومتاعي في وجودي ، ودعائي في صَلاتِي
كُلُّ هذَا ضاعَ من كوني بإحدى الغَفَوَاتِ
كلُّ هذا لم يَعُدْ لي منه غيرُ الذِّكريَاتِ
غُرْفَةٌ تبكي على سيِّدِها بالحَسَرَاتِ
لعبٌ تبحثُ عن لاعِبِهَا دُونَ أَنَاةِ
كُتُبٌ تَسْأَلُ عن صاحبِها أَنَّى مَوَاتِي
صُوَرٌ مجلُوَّةُ الحُسْنِ بأحْلَى البَسَمَاتِ

آهِ مِنْ نَارِي ، ومنْ يَأسي ، ومن ضعْف ثَباتِـي
قد توالت حسَراتي ، وتهاوتْ خُطُواتِـي
لا ترى عيناىَ غيرَ الليل يا نورَ حياتي
وأراني في ظلاَمِ البيت أحْيا في فَوَاتِ
وصِغَارِي في رَحَى المِحْنَةِ حَيْرَى النَّظَرَاتِ
سألوا : أينَ أخُوهم . . أهْوَ ماضٍ ؟ . أهْوَ آتِ ؟ .
قلتُ : والدمعُ سخينٌ ذائبٌ في نبراتي
إنه في الغيْبِ . . بيْنَ السُحْبِ . . فوق النَّيِّراتِ

ولَدَي . . . ليتَكَ تَدْرِي كيف باتَتْ أُمْسِيَاتِـي
لو بساطُ الأرض طِرْسي ، ولو البحرُ دواتي
لملأتُ الكونَ إيقاعًا حزينَ الصَّفَحَاتِ

فسَلِ الرحمنَ في أيام عمرِي الباقياتِ
رحمةً منه ، تُعزِّيني إلى يومِ مماتي
إنَّ إيماني بربِّي ، وحدَهُ طوْقُ نَجَاتِي . .

صَـلاَة

كلماتي مُرَّةٌ كالصَّبْرِ ، حَرَّى كدموعي . .
منذُ أن جَارَتْ يَدُ المَوْتِ على أَغْلَى شُمُوعي
وَرَحَى المحْنَةِ لاَ تَنْفَكُّ عَنْ سَحْقِ ضُلُوعِي
آهِ . . من وَحْشَةِ أحْبَابِي ، وَمِنْ فَرْطِ نُزُوعِي
آهِ . . من صَرْخَةِ أشْجَانِي ، وأنَّاتِ وُلُوعي
ومن الليل الذي عذَّبَني ، دونَ هُجُوعِ
والسَّوَادِ الضَّارِبِ الْحُلْكَةِ في كُلِّ الربُوعِ .

يا إلهي . . اقْبَل صَلاتي ، وامتثالي ، وخُشوعي
فهْيَ قُرْباني إلى ذاتِكَ ، في شَوْقِي وجُوعي
للقاءِ ابْني الذي راحَ إلى غيْرِ رُجُوعِ . .

ارفَعي المشْعَل

في بلادي ، في مغاني أرْض أجدادي الجميلهْ
لي مع الأيام أخبارٌ . . وَأسرارٌ طويلَهْ . .

هل ابوحُ اليومَ بالشَّجْوِ لأحبابي وقَوْمي ؟ .
فلعلَّ البَوْحَ يجلو عن فؤادي بعضَ همِّي . .

يَا بلادي أنتِ أنـأَى من سَنى الأَنجُم عَنِّي
بَيْدَ أن الجُرْحَ في الأعماق يبكي . . وَيُغنِّي . .

غُرباءُ الأرضِ أغراهُمْ بريقُ الذَّهَبِ
فاستباحوا دُونَ حقٍّ ، أرْضَ أمِّي وأبِي . .

وَغَدا دَيْدَنُ أهل الحيِّ ، خُبْثًا وَنِفَاقْ . .
كيف يرتاحُ الضميرُ الحرُّ ، والحقُّ مُراقْ ؟ .

في بلادي ، في مغاني أرض أجدادي الجميلَهْ
نَسيَ الناسُ من اليأس التواريخَ الجليلَهْ .

ذابتِ الأحلامُ ، والآمال ، في الدمع السخينِ
وجرى الدمع دمًا يبكي على الحقِّ السجينِ

أضحتِ الأخلاقُ بَيْنَ النَّاسِ عُمْلاتٍ قديمَهْ . .
سُحُبُ الْحُبِّ طَوَتْهَا عَبرةُ الجُرْح الأليمهْ

كلما عُدْتُ أراني ، في حِمَى أهْلِي غَرِيبَهْ . .
وهُمُ مثلِيَ أغرابٌ . . على أرضٍ سَلِيبهْ . .

نَحْنُ أَمْسَيْنَا مع الأَغْنَامِ في أَرْض بِلاَدِي
والكلابُ السودُ ترعَى ، والخنازيرُ تُنادِي . .

رُبَّمَا تأكُلُنا يومًا . . وباسْم المدنيَّـهْ . .
يسقُطُ الوَعْيُ . . ويغْدُو الشعْبُ للغازي ضحيَّهْ .

ثم نُمسي بعد هذا الهُون ، تاريخًا قديما
ورسومًا بَالياتٍ . . . آهِ ما أشْقَى الرُّسُوما .

سَيُقولونَ : هُنا . . كانت . . كُوَيتٌ وإمَارَهْ .
رفعتْ في البحر ، قبلَ البرِّ ، أعلامَ الحضارَهْ .

شقَّتِ الريحَ ، وأجْرَتْ في المحيطاتِ السفينَـهْ
قبل أن ينشأَ مُلْكٌ ، ومُلوكٌ . . ومدينَهْ . .

ثم غرَّتهم أباطيلُ الحضاراتِ الجديدَهْ
فتناسَوْا أنَّهم إرْثُ التقاليد العتيدهْ . .

يا شبابي . . إن فيكمْ كُلَّ آمالي الرفيعَهْ
وبلادي بين أيديكمْ ، تراثٌ ووديعه .

فَانْهَضُوا مِنْ غفوةِ الوعْي ، ومن أسْرِ السَّكِينَـهْ
قبْل أن تَغْرَقَ في الطوفان ، أعلامُ المدينَهْ . .

إنهضُوا . . لا النَّارُ والبترولُ في أيدٍ أمينهْ
لا . . . ولا أنتمْ على وَعْيٍ بأطماعٍ دفينَـهْ . .

إطْرحُوا كلَّ بريقٍ ، وتناسَوْا كلَّ زينَه . .
واجعلُوا أيْدِيَكُمْ دِرْعًا على الحقِّ أمينَـهْ

كلُّ ما يُبنى على الرمْلِ . . هباءٌ في هبَاءْ . .
فابتَنُوا في العمْقِ ، ما يَرقى لأسْبَابِ السَّمَاءْ

يا كُويتي ، يا بلادي ، يا حَيَاتي ، يا مصيرِي
هأنا أشْعُرُ أنِّي ، ضلَّ في الأرض مَسِيري . .

فَخُذِي العِبْرَة منِّي . . وامسحي زَيْفَ الدِّهَانْ
وأفيقي للعوالي ، قبل ما يَمْضي الأوانْ

هذه الأيَّامُ . . لا تعرفُ معنًى للسُّبَاتِ
والذي يغفُلُ ، تطويهِ رياحُ الذكرياتِ . .

حَرِّكي فيكِ الشبابَ الحرَّ . . نحْوَ الأمنياتْ
ليس في الدنيا ثباتٌ . . بل حياةٌ أو مماتْ . .

أرْجعي ماضيَكِ الْخَالِدَ ، حُلْوَ النَّغماتْ
وارفَعي في العَرَب المِشْعَلَ . . تحلُ الأمسياتْ . .

أنَا وَالغَيْبْ

كَيْفَ يا قَلْبِي تَفرَّدْتَ بألْوَانِ العذابْ ؟ .
واحتملْتَ العيشَ مُرًّا ، وشربْتَ الكأسَ صَابْ
ولماذا أوْصَدَ الغيبُ بوجهي كُلَّ بابْ ؟ .
وسقاني الهمَّ واللوعَةَ من غيْرِ حِسَابْ
ربِّ . . غفْرَانَكَ إن كُنْتُ تجاوزتُ الصوابْ
وأسأتُ الظنَّ بالغيبِ ، وأخطأتُ الخطابْ

رغمَ أن النُورَ في أعماق أعماقي مُذَابْ
لم يحرِّضْني ضلالٌ ، أو يساورْني ارْتِيَابْ
أو يحرِّكْني إلى ذاتِكَ لَومٌ أو عِتَابْ
فأنا مِنْ حَرَمِ الإيمانِ في أعلى رحابْ
بيْدَ أني تُهْتُ يا ربِّيَ في درب الشبابْ
واكتستْ أجملُ أحلامي بمسودِّ الضَبابْ
وذوتْ بي زهرةُ العمر ، شجونًا واضطرابْ
يا إلهي . . هل قضى أمْرُكَ في أُمِّ الكتابْ . .
أن أرى أحلامَ عمري ، في رؤى الوهم سرابْ
وأَمانيَّ نجومًا تائهاتٍ في السَّحَابْ
أكذا ينْتَحِرُ العمْرُ ، وينفَضُّ الشَّبَابْ ؟ .
وأرى قلبي الذي ما زالَ كالبُرْعُمِ . . شَابْ

وخيالاتي على الأيَّام تَهْوِي كالشِّهَابْ
يا إلهي . . كم أُنادِيكَ فَهَلْ لِي من جَوابْ ؟ .

فِتْـنَة

كُويتيَّـةٌ أنا بنْتُ الخليجِ
وصاحبةُ الهامَةِ الْـعَالِيَهْ
ومِلْءُ دمي مَجْدُ آلِ الصَّبَاحْ
ومنهُمْ بناتي ، وَأَبْـنَائِيَهْ . .
فكيف تحكَّمَ فينا الطُغاةُ ؟ .
وَعَاثُوا بأعراقِنَا الْـغَالِيَهْ . .

بأيِّ الشرائعِ هُمْ يَحْكُمُونَ ؟ .
وَيَلْهَونَ بالْقِيَمِ الرَّاسِيَهْ
أما وحَّدتْنا دماءُ العروبةِ
والمِلّةُ السَّمْحَةُ الْهَادِيَهْ ؟ .
فكيف يَعُودُونُ لِلَمَذْهَبِيَّةِ ؟ .
وَهِيَ الْوَقِيعَةُ وَالدَّاهِيَهْ . .
صَغَارٌ يُمَزِّقُ شَمْلَ الكُوَيْتْ
وَيَمْضي بِقَوْمِي إِلَى الْهَاوِيَهْ . .

أُنَاشِدُ قَوْمي ، أَلاَ يَذْكُرُونَ ؟ .
لَيَالِينَا الْحُلْوَةَ الصَّافِيَهْ . .
وَسَامِرُنا الْعَذْبَ حَوْلَ المَوَاقِدِ

يَجْمَعُنَا أُسْرَةَ هَانِيَهْ
تدورُ الأحاديثُ فيه ثناءً
وتنبضُ بالخير والعافيهْ
أعيدوا لنا ذكْرَ تلك الليالي
وكُفّوا عن اللهجة الجافِيَهْ
فنحنُ رَضَعْنَا لِبَانَ الخليجِ
وعشْنَا على هَذِهِ الْبَادِيَهْ . .

وأجْدَادُنا مَنْ أقاموا الشِّرَاعَ
وساروا على المَوجةِ العاتِيَهْ
فلا تجعلوا في مهَبِّ الرياحِ
صحائفَ أمْجَادِنا الماضِيَهْ

ولا تقطعوا الرحِمَ المُرتَجى
لمستقبلِ الأمَّةِ الغالِيَهْ
ولا تَخْفِضُوا هامَكُم كالنَّعَامِ
تُدارُون عاقِبَةَ الغَاشِيَهْ
فهذا الحِمى دُرّةٌ للخليجِ
وتاجٌ على رأسِهِ العالِيهْ
فصونُوهُ من عثراتِ النُّفُوسِ
ومن طمَعِ الفِئَةَ الْبَاغِيَهْ . .

أيا وَطَني . . أنا في غُرْبَتي . .
أحِنُّ إلى أرْضِكَ النائِيَهْ
أراها على البُعد طَيَّ الفؤاد

كَـأَنَّكَ ما بَيْنَ أحضانِيَهْ . .
وأبكي . . وأجزعُ . . خوفًا عليكَ
من الفتْـنَةِ المُـرَّةِ الطَّاغِيَهْ
فماساةُ لُبْنَانَ لمَّا تَزَلْ
تَـلُوْحُ بألوانها القانِيَهْ
فإيَّاكَ . . إيَّاكَ . . أنْ يخدَعُوكَ
وأن يدفَعُوكَ إلى الهَاوِيَهْ . .

فهرس

القصيدة	الصفحة
إليك يا ولدي	٥
مقدمة	٧
موعد في الجنة	١٢
هل نسيتم	١٥
في طائرة الموت	١٩
خداع	٢٣
ثورة	٢٦
أمطري يا سماء	٢٨
أحبك حبًّا كثيراً	٣٢
سؤال	٣٥
أيها القاسي	٣٨
من أمنية . . إلى مبارك	٤٠
بيتك الأخير	٤٢
ليت	٤٦
حديث إلى نفسي	٥١
لا تلمني	٥٣
إيمان	٥٧
صلاة	٦١
إرفعي المشعل	٦٣
أنا والغيب	٧١
فتنة	٧٤
الفهرس	٧٩